 DOI: http://dx.doi.org/10.18860/el.v20i2.5248

الالتزام الإسلامي في الشعر العربي في بلاد يوربا، نيجيريا
AL-ILTIZAM AL-ISLAMI FI ASY-SYI'R AL-'ARABI FI BILAD YORBA NIGERIA

Lateef Onireti Ibraheem
Department of Arabic University of Ilorin Nigeria
Email: oniretiola@hotmail.com

الملخص

الالتزام قضية مهمة في مذهب الأدب الإسلامي، الأدب الذي يصوّر الخالق والكون والإنسان وفقا لتعاليم الإسلام وقيمه. فالأدب العربي في نيجيريا بصفة عامة وفي بلاد يوربا بصفة خاصة يجب أن يتصف بهذه الصفات، ولذلك درس هذا البحث أعمال شعراء بلاد يوربا، نيجيريا، من حيث الالتزام الإسلامي. توصل البحث إلى أن أكثر الشعراء اليورباويين التزموا بالإسلام تعاليمه وقيمه ومنهجه في أعمالهم الأدبية إلا أن بعضهم تجاوزوا حد الالتزام بالمبالغة والإفراط في المحبة وعدم الصدق في العاطفة وتجريح حق الغير وإيراد التشبيه بالمحرمات. إلا أن ذلك لم يبلغ مبلغا يخرجهم من حوزة الإسلام، ولا أدبهم من الأدب الإسلامي، بل جعلهم أدباء ملتزمين في بعض القصائد وغير ملتزمين في غيرها. فأعمال الأدباء اليورباويين شعرها ونثرها تحتاج إلى دراسة مفصلة على المنهج الإسلامي لتمام فهمها وتحقيق قيمتها وتقدير جهود المقتصدين من أصحابها وردّ جماح المنحرفين منهم عن غيّهم.

Abstract

Consistency is a vital aspect of the school of thought of Islamic literature, the brand of Literature which creatively presents the Creator, the Universe and Man in accordance with Islamic teachings and values. The aim of this research is to study the level of adherence of poets in Yorubaland to Islamic teachings and

norms in their works. To achieve this, it selected four themes of Arabic poetry, eulogy, elegy, love and political poetry. It shows that most of Yoruba poets adhere strictly and consistent with the teaching of Islam in their works, while very few of them were not consistent. It was due to their involvement in exaggerations, false motivation, trampling on the right of others, and drawing analogies from forbidding things like alcohol. These aspects, however, does not stripe their works from being branded Islamic literature in any way, it only connotes that they only lack of consistency in their adherence to the teachings of Islam. The creative works of Yoruba literary figures need thorough research in order to be well understood, ascertain their worth, appreciate the consistent ones Islamically among them and guide the straying ones to the right path

Keywords: *consistent adherence; Islamic literature; poetry themes; Yoruba literary figures*

مقدمة

الأدب الإسلامي هو الأدب الذي ينبثق عن ذات مسلم، يصور الخالق والإنسان والكون من خلال تصور الإسلام لكل مما ذكر، لأن المؤمن الحق لا ينفصل عن ذاته عند التعبير عن فكره وفنه، وأن آثاره الأدبية ومعتقداته وأحلامه كلها ترتبط بتلك الذات القوية المتماسكة. فالأدب العربي في نيجيريا بصفة عامة، وفي بلاد يوربا بصفة خاصة يحمل هذه البصمة، لأن أصحابه تعلموا العربية أصلا لأجل فهم الدين الإسلامي. ولكن هناك مؤثرات بيئية وثقافية أخرى تشارك في تكوين الأدباء وآدابهم في هذه المنطقة، فلذلك كانت الحاجة داعية إلى أن تغربل الأعمال الأدبية فيها لمعرفة مدى التزامها بالمنهج الذي رسمه الإسلام. لسد هذا الفراغ قمنا بهذا البحث. ونطاق البحث ينحصر في بلاد يوربا في الفترة بين ١٩٦٠ و٢٠٠٩ م، وتناول من الأغراض الشعرية المدح والرثاء والغزل والشعر السياسي لضيق المقام.

مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي

قبل الخوض في دراسة الالتزام في الشعر العربي في بلاد يوربا يجدر بنا أن نجعل نقطة التوضيح على ماهية الالتزام في الأدب الإسلامي لنكون على بصيرة من أمره قبل تطبيقه على عمل أدباءنا فنقول:

الالتزام في اللغة، على حد قول الحسيني هو التعلق بالشيء والمداومة عليه وعدم مفارقته. وفي الاصطلاح الأدبي هو أن يلتزم الأديب في أعماله الأدبية عقيدة من العقائد أو

مبدأ من المبادئ أو فلسفة من الفلسفات (الحسيني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٢٧). وبالنسبة للأدب الإسلامي فهو أن يلتزم الأديب المسلم تعاليم الإسلام ومبادئه وقيمه في أعماله الأدبية، لا يفارقها مهما كانت الظروف. ورأى الكيلاني (١٤٠٧هـ: ٧٩) أن الالتزام في الأدب:

> يبدأ بالنية الصادقة، والعزم الذي لا يتزعزع، وينطلق من ممارسات واقعية في مختلف جنبات الحياة، إنه وئام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الآخرين، وهو يضم تحت جناحيه قيم الحياة الإسلامية وقوانينها أو أحكامها، وتصورات المؤمن لما يحيط به من كون وسنن، وحيوان وجماد ونبات، ويمتد ذلك التصور ليربط الحياة الدنيا بالآخرة، ومرجع ذلك كله هو كتاب الله وسنة رسوله.

هذا، وقد تكون القصيدة ملتزمة وشاعرها غير ملتزم، وذلك إذا التزم الشاعر بالقيم الإسلامية في القصيدة وانحرف منها في غيرها. نضرب مثلا لذلك في أحمد شوقي أمير الشعراء المشهور الذي نظم أشعارا كثيرة رائعة ملتزمًا فيها بتعاليم الإسلام مثل قصيدة «على نهج البردة» وغيرها ثم وجدناه في بعض قصائده يصف الخمر ويرغب الناس في شربه، فمنها قوله عند انصرام رمضان وأقبل العيد (الحسيني، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م: ٢٠٦):

رمضان ولّى، هاتـها يا ساقي * مشتـــاقة تسعى إلى مشتـاق
مـا كـان أكـثره عـلى ألاّفـها * وأقلـه في طـــاعة الخـــلاّق
الله غفار الـذنوب جمـيعـها * إن كان ثم من الـذنوب يواقي
بالأمس قد كنا سجيني طاعة * واليوم منَّ العـيد بالإطـــلاق
ضحكت إلي من السرور ولم تزل* بنت الكـروم كريمة الأعراق
هات اسقنيها غير ذات عـواقب * حتى نـراع لصيحة الصفاق
صـرفا مسلطة الشـعاع كأنما * من وجنيـتك تـدار والأحداق
حمـراء أو صفـراء إن كريمها * كالغـيد كل ملـيحة بمـذاق
وحـذار من دمها الزكي نريقه * يكفيك يا قـاسي دم العشـاق
لا تسقـني إلا دهـــاقًا إنـنـي * أسقي بكأس في الهموم دهاق
فلعل سلطان المـدامة مخرجي * من عالـم لم يحو غـير نفـاق

فالخمر محرمة في الإسلام وعقوبة من تناولها في الشريعة معروفة، والذي يساعد على تناولها آثم مثل شاربها، فشوقي بهذا زائغ عن الالتزام.

ويجدر بالذكر أن هذا لا يعني أن من قال قصائد غير ملتزمة خارج من الإسلام، كلا بل لا يزال من المسلمين، فإنه بفعله قد خلط عملا صالحا وآخر سيِّئا، وإن تاب فعسى الله أن يتوب عليه.

الالتزام الإسلامي في شعر المديح العربي في بلاد يوربا

كان الإعجاب والتقدير والحب والثناء والعرفان بالجميل من العواطف التي تدعو إلى قول المدح لدى الشعراء اليورباويين، وتختلف قوة إحساسهم وشعورهم تجاه هذه العواطف بناء على شخصية الممدوح ومكانته لديهم فلذلك نرى منهم من كان مقتصدا في تعبيره المدحي وفي شعوره، ونرى منهم من كان سابقا بالخيرات بالتزامه حد الإسلام في ذلك، كما نرى منهم من تجاوز حد التصور الإسلامي في وصف شمائل الإنسان والثناء عليه.

فرسول الله الكريم ﷺ أكثر من نال المديح لدى اليورباويين لحبهم الأصيل له ولإيمانهم بأنه رحمة للعلمين، وأن نجاتهم في الدنيا والآخرة في اتباعه، فلذلك نراهم يطيلون في سرد صفاته وشمائله الطاهرة في قصائدهم، فمنهم من وصفه بالزمزمي الذي يعشق إليه، وببدر يستضاء بنوره، وكهف يلجأ إليه الخائفون، وبشير للمؤمنين ونذير للكافرين، وهدى، وإمام للمرسلين، ونعمة ورحمة للعالمين، وغير ذلك من الأوصاف الحميدة، أمثال عبد الواحد أريبى جمعة (١٩٩٧م) الذي يقول في قصيدة بعنوان: «رحمة أنت»:

أيها الــزمــزمي أنت زمام ❋ ظل زادا للــراغبــين الركــوبا
كنت كالبدر عنــدنا وبشيرًا ❋ كنت عفوًا للتائبين قـــريــبا
كنت كهفا للخائفين حصينا ❋ كنت كهفا للــكافرين عصيبا
ثــورة أنت بــالوئام تحدت ❋ صفحات أغر تحكي القشيبا
رحــمة أنت ألفت مستقيما ❋ ثــم ســنة بل كتــابا غــريبا
صبغة أنت في الأمام تسامت ❋ ولــديك ذاقت علانا نصـــيبا
لــوحة أنــت بالــوقار تحلت ❋ قرأت بها العالمون الضــروبا
صفحة أنت في المثــال تعالت ❋ فوق رسل الله انتقيت نقيبا
نعمة أنت في الوجود استدعت ❋ تتمناها الهــود كيما نصيبا

استعان هذا الشاعر بالصور البلاغية الرائعة ليتم تأثيره على القارئ والسامع مثل التشبيه بأنواعه في جعل رسول الله ﷺ بدرا يهدي العالم في ظلمة الجهل والجهالة، وكهفا وثورة ورحمة وصبغة ولوحة وصفحة بغير ذكر وجه الشبه وأركانه. وهذه الصفات مأخوذة من تصور الإسلام لشخصية رسول الله من غير مبالغة، وفي القرآن: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء: ١٠٧، إلا أن تشبيهه الرسول الأعظم، في البيت الأول، بالزمام بيد راكب الحصان نقص لقدره العظيم، كيف يكون الرسول ﷺ لجاما بيد خلق من خلائق الله؟ فهذا يخالف تصور الإسلام للنبي ﷺ.

ومن أخلاقه التي استلهموها من القرآن والسنة الشريفة ومن أقوال السلف الصالح وسردوها بغية الاقتداء بها لأنه المثل الأعلى، والحق يقول: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ القلم: ٤، فمن هذه الأخلاق: الكمال والأمانة والوفاء بالعهد والصدق والصبر والرحمة والثبات والتخلق بالقرآن وتبليغ الرسالة وغير ذلك. نأخذ أبياتا من قصيدة محمد الثاني (١٩٩٩) بعنوان: «قصيدة وبل الصدى في مدح رسول الهدى» نموذجا لذلك حيث يقول:

أجـمل به من نبي خلقه عجب * ما يعتريه- طوال العمر- نقصان
عـن خلقه قد أتت آي بلا عـدد * بـل خلقـــه فإذا قسـناه- قرآن
وهو الأمين ولا يرضى الخيانة في * كـل الشئون ولو سـاءته أزمان
ما أخلف الوعد قط مجتبى عجبا * وليس من طبعه إفـك وبـهتان
نـعم الرسول وفي أحـواله عـبر * الصـبر ملبسه والصـدق تيجان
قد أرسل الله يس رحمة وهـدى * للعـالمين وفي الفرقـان سلـطان
فـقد دعا قومه بالصـبر والحكم * والصبر يعقبـه روح وريحـان
وكـم يقاسي من الكفـار فتنتهم * منها الحصار وتكذيب وعـدوان
وبلغ المصطفى الهادى بلا فشـل * رسـالة الله لا يعـلـوها أديان
نعم الثبات ونعم الصبر يا سندي * يا خاتم الأنبيا للـرسل معـوان

بعد تعداد شمائل الرسول ﷺ الطاهرة كالأمانة والوفاء بالعهد والصبر والصدق وأنه رحمة للعالمين، قدر الشاعر تضحيته على تحمل الأسى من الذين لا يؤمنون ملتزما في ذلك كله حدود الإسلام. ولكننا نرى بعض الشعراء اليورباويين، إما لأجل حبّهم لرسول الله ﷺ أو الاقتداء ببعض أعلام مدحه ﷺ جاوزوا حد الإسلام في مدحه له حيث قال جمعة (٢٠٠٣م) في قصيدة معنونة بـ «يا مختار»:

يا رسول الله كـن حجبي * إنمـا أرجـوك عن كثب
أين تمضي اليوم باخرتي * فيك يا مختـار منتسبي
أنا في الإيمان مقتـــصـر * عمـل الخيرات أبطـأبي
قائدى العمـلاق يا سيدي * فإليـك الآن مـقـتربي
ضل عني اليوم مـرتقبي * بل أعود الآن من عـطب
وأفـوز الآن مـن ثقـتـى * بك يا مختار في الحـلب
في عباب اللهو قد رسخت * قدمي المقوتة الصـبب
فصـلاتي الطب أو سببي * بدوام الدهر والحـقـب

جزت الأسبـــاب في ســبلي* جئت أهدي إليك بالسبب
فاقــبل الحيــران يا أمــلي * وتداركــني فــأنت أبــي

تأثر الشاعر في هذه القصيدة بالشيخ ناصر الكبر الكنوي في قصيدته التي استغاث بها الرسول الله ومطلعها:

يا رسول الله خذ بيدي * وتــداركني وأنــت أبي

(أبو بكر، ١٩٧٢: ٦٠٣)

فعلى منواله سار هذا الشاعر، صور نفسه كمن أخطأ طريقه ثم صحا بعد الغي، وتمنى أن اعتماده على الرسول ﷺ الهادي يساعده على الاستقامة والكمال فاستغاث به لأنه أبوه، وقد حذر بوصيري المدّاحين للرسول ﷺ عن تجاوز حد الإسلام في مدحهم بقوله:

دع ما ادعــته النصــارى في نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف* وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

(بوصيري، د.ت.: ١١)

فالاستغاثة قضية لا تزال تثير الجدل بين العلماء ولا نريد التدخل فيها هنا، أما ادعاء البنوة للرسول ﷺ لأمر كرهه الإسلام لأحد بعد أبنائه من صلبه وأمومة أزواجه. فإذا قسنا هذه العثرة من الشاعر بما قاله عن رسول الله ﷺ أعلاه، وفي قصائده الأخرى نحكم بأنه فقد الالتزام في هذا الصدد فقط، وأنه شاعر إسلامي.

إن قبة المدح، من حيث الكثرة، بعد المدح النبوي، تبنى على مساجد العلماء، لأنهم ورثة الأنبياء. فالعواطف التي تثير وجدان الشعراء تجاه هذا اللون من المديح -بناء على المعلومات المتوفرة لدينا- نابعة عن إعجابهم بالممدوح أو حبهم له، أو العرفان بالجميل له، أو عن إرادة تهنئته على إنجاز حققه، أو الترحيب به، أو توديعه، أو تعريفه للناس، أو تأييده على أعدائه أو خصمائه، أو إهداء العمل الأدبي إليه.

فكثيرا ما يعجب التلاميذ تضلع أساتذتهم أو شيوخهم في العلوم والفنون، ويبهرون بحسن معاملاتهم لهم ويتعجبون من مدى جهادهم في نشر الدعوة الإسلامية، وجهودهم في بذل الأنفس والنفائس في سبيل إعداد التلاميذ وإخراجهم من الأمية والجهل والجهالة، وقد قرأوا في الكتاب والسنة وكلام العلماء الصالحين كثيرا عن مكانة العلماء ووجوب احترامهم انطلاقا من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر: ٢٨، وفي قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ المجادلة: ١١ وقول رسول الله ﷺ: « ... إِنَّ

العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» (سنن الترمذي: ٥/٤٨، رقم ٢٦٨٢) وقول الشاعر:

إنّ المعلم والطبيب كلاهما ❊ لا ينصحان إذا هما لم يكرما

(الزرنوجي، ١٩٨١م. ص ٨٢).

فهذه الظاهرة تثير وجدان الشعراء الذين كانوا - ولا يزال بعضهم - طلابا أو تلاميذ أو مستفيدين من هؤلاء العلماء، ولا يجدون بدا من أن يعبروا عن شعورهم بالشعر المديحي تجاه شيوخهم.

ومن العلماء الذين نالوا نصيب الأسد من مدح الشعراء في بلاد يوربا، لآثارهم الباهرة في طول البلاد وعرضها، الشيخ آدم عبد الله الإلوري والشيخ محمد كمال الدين الأدبي. فقلّ أن تجد شاعرا في بلاد يوربا لم يذكرهما في شعره، ولذلك نأخذ نموذجين لهذا اللون من المديح مما قاله شاعران من كبار تلاميذهما.

يقول أبو بكر(٢٠٠٥م) في مدح الشيخ آدم الإلوري:

يا شيخنا النحرير حسبك رتبة ❊ أن العيون إليك دوما تنظر
إرق المنابر إنها لك واملأ الآذان ❊ وعـــظا رادعـا من يـكفر
وازجـر أناسا نوّمـا في غفلـة ❊ رعناء واعلم أن قـولك يندر
هـل قام قبلك في المحافل عالم ❊ يأتي بكل جديدة لا تنخـر؟
من أين تأتيك العقول تسلسلا ❊ في كل فن لا تجارى مبحر؟
والله قـد أحسنت صنعك كلّه ❊ لا عاش شانئك الذي هو أبـتر
يـا وارثا للمجد مـن أسلافه ❊ قل ما تحب فإن رأيـك أزهر
الـرأي رأيـك لا تـقول مفندًا ❊ مـن قال «لا» فكأنه لا يبصر
إني بلوت النـاس بلوا لم أجد ❊ من كان مثلك بيد أني أصغر
فإذا كبرت فمستحيل أن أرى ❊ إلا «البغاث» بأرضنا يستنسر»
يا صاحب الإسـلام أنت متيم ❊ في حبه تحمـيه كـاد يكـسر
لولا قـيـامك طاردا أعـداءه ❊ من وكره ليكـون يـوما يوسر
يا راجـيا وجـه الإلـه وأجره ❊ عن هذه الأعمال حـقا تـؤجر
هـل كـان مـثلـك قارئ آياته ❊ سـبحـانه ومـبين ومفـسر؟
رتل عليـنا ما تـيسر إنـنـا ❊ نصـغي إلـيك وكلـنا نتذكـر
وإذا بدأت قـراءة فـكأنـهـا ❊ صوت من المزمار ساعة تصدر

إني شربت الشهد حين قراءتي ❋ لكن صــوتي لا يــزال يبعثر
الله يكـثر مـثـله في قـطرنا ❋ نيجـيريا بـلد يمـد ويجـــزر
يا شيخنا طابت حياتك إن لى ❋ أمــلا بــأنك في الحيــاة معمر
هــذى القصيدة قولة من ذلك ❋ التلميذ ذى عجز يقال ويعذر

فالقصيدة في سبعة وأربعين بيتا، وبالأسلوب الخطابي الذي يتصف به الشعر المديح استطاع الشاعر أن يظهر إعجابه بالممدوح كأنه واقف أمامه يخاطبه. أعجبه أن الأنظار اتجهت نحو شيخه، وأنه لم ير من يباري شيخه في الفصاحة عند إلقاء الخطب على المنابر خصوصا في يوم الجمعة وأيام العيد. كما أعجبه رده الكفّار والمشركين عن ضلالتهم، والفجار والفساق عن غوايتهم إلى الدين الحنيف بزواجر وعظه. وبأسلوب الاستفهام البليغ أفهمنا أن الممدوح يجدد موضوعات خطبه ومواعظه ليعالج قضايا الساعة في مجتمعه وفي العالم. فعلى سبيل المثال، كانت الخطبة المنبرية في البلاد، قبل قيام الممدوح الشيخ آدم عبد الله الإلوري بحركاته الدعوية الإسلامية، منفعة ضائعة حيث تلقى باللغة العربية على الأعاجم الذين لا يفهمونها، وكان الأئمة يكررون عددا من الخطب الموروثة من أسلافهم. فلما جاء الالوري غير ذلك الأسلوب، فأخذ يكتب الخطبة بنفسه ويلقيها بالعربية ويقوم أحد تلاميذه بترجمتها إلى اللغة المحلية. وقد أصبح هذا الأسلوب شائعا في نيجيريا اليوم (إبراهيم، ٢٠١٢م: ٥٥٢). وعلاوة على ذلك فقد أبدع الإلوري أسلوبا خاصا للتغني بالقرآن والأشعار العربية الذي يعرف اليوم بـ «صوت المركز» (عبد الحميد وغيره، ٢٠٠٧م: ٥٧).

أُعجب الشاعر بأفكاره النيرة، وآرائه السديدة التي تنال الإقبال لدى الناس، فشبهها بالأزهار التي تروق العيون وتلذ النفوس، ويرى أن من يعارض شيئا منها فهو أعمى. ولكي نؤمن بأن الشاعر يمدح عن صدق العاطفة، وأن ما قاله عن الممدوح حق و«...فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» (الطبراني. الأوسط: ٣/ ٥٥، رقم: ٥٥٤٢). وأكّد كلامه باليمين واستعان بالقرآن ليدعو على شانئيه.

كما أعجبه كذلك شغفه وحبه النزيه للإسلام الذي كان لديه بمثابة بيض يحميه ويذود عن حوضه بكل ما لديه من سلاح وعتاد، فقد جاهد في سبيله بنفسه ونفيسه ولا يرجو من ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ التوبة: ١٢٠. وأعجب الشاعر كذلك صوت شيخه الرنين الذي شبهه بمزمار من مزامير أهل داود. وحاول الشاعر أن ينال الصوت الرنين مثله فاستعان بشرب العسل، لإيمانه أن رسول الله ﷺ قال بأن الشفاء في شرب العسل، كما في صحيح البخاري (كتاب الطب، رقم ٥٦٨١ .

ص١١١٦) ودعا الله له أن يكثر أمثاله في نيجيريا وأن يطول عمره. فالشاعر كما رأينا ملتزم في القصيدة.

إلا أننا نشم رائحة الغلو في قوله: «والله قد أحسنت صنعك كلّه» في البيت السادس لعلّه يقصد بأنه أحسن في معظم أعماله، وليس في كله فالكمال -في الإسلام- لله وحده. وقد يشبه قوله:

هل قام قبلك في المحافل عالم * يأتي بكل جديدة لا تنخر؟

وقوله:

إني بلوت الناس بلــوا لم أجد * من كان مثلك بيد أني أصغر
فإذا كبرت فمستحيل أن أرى * إلا «البغاث» بأرضنا يستنسر»

حيث لا يرى عالما مثل شيخه يأتي بالأشياء الجديدة من العلوم والفنون، وأنه جرّب الناس ولم يجد من هو أعلى وأعظم مثل شيخه، قد يشبه هذه الأقوال مبالغة، ولكن بإمعان النظر نرى أن الشاعر لا يتكلم بصفة عامة بل يعبر أن شعور نفسه وتجاربه وقد يكون ذلك حقا دون مبالغة منه.

ومن الأوصاف والشمائل التي تنال إعجاب الشعراء من علماء بلاد يوربا إحواؤهم التلاميذ وإسكانهم في بيوتهم أو في الرواق التابع لمدارسهم، وإغداقهم بالجود والكرم، ومعالجتهم إذا مرضوا، إضافة إلى التعليم والتربية والتثقيف التي يقدمونها لهم بأدنى مكافئة من أهاليهم أو بدونها أحيانا، وتليين الجناب لهم، وهدايتهم إلى سواء السبيل وغير ذلك. وعليه يقول عثمان محمد عبد السلام الثقافي (١٩٨٢م: ٣١) عن الشيخ كمال الدين الأدبي:

وفي منــزل الحاج الكمال محمــد * يــجاد بأنــهار وبـــدر ومكتب
وأعــزب مقطوع الــرجاء أقــاله * من العثرة الكبرى ببكر ومركب
ترى الناس مغسولين بين بحاره * وكم قد مشوا في نوره نحو مكسب
وطبّــه شــاف للبــلاد المريــضة * واعرج داوى بالــدوا ومعرقب
وهل بقيت في العــالمين جمــاعة * تقــول عمــينا عن نداه المرطّب
هــداه صراط مــستقــيم مــقوّم * وليس بــمعوج معيب مشذب
وأخــلاقــه لين وصبر ورأفـــة * وليس بــكابوس ثقــيل ومتعب
ألا هــو صفــو عبقــري مثقف * وليس بمــختال فخور فينكبى
تــراه رقيــبا يســتلاذ بحصنه * وطــبا لأدواء الــفــؤاد المــقلّب

وأعـمي بعين ـقد أعان وأقرع * بشعْر وبكم باللســان وأجرب
ذكـي خبير يستـعـــان برأيه * وكم عقدة للقوم حلّ ومصعب
ورب سراب ظنه الناس مشربا * فلولاه لم نعرف ولا نتمـذهب
وأنـك بكر لا تجيب لخـاطب * بدون صـداق واحترام معجب
وإنك بـدر في ظـــلام لتـائه * ورب وَليد قد هـديت وأشـــيب
وكم راغب فيما لدى الناس مرغبا * سحبت إلى نهج الهدى أي مسحب
وكم من رجال في الخطاب تلجلجوا * أعـنت ومن أشغالهم عند مـرعب
وإنـك صيـاد حكيم مـحنك * وكم من أسود قد فرست وثعلب
أدرت الولاة الغاشـمين إدارة * وسست رعاعا همهم عند مسلب

بأسلوب رائع مفعم بالصور البلاغية أثبت الشاعر في هذه القصيدة أن التلاميذ ينالون من الشيخ كمال الدين الأدبي وأهله الكرم والعلم والدراسات الإسلامية والشفاء من الأمراض. وصور الكرم والجود كأنهار، والعلم كالنور والدراسات الإسلامية مثل المكتب. وذكر من شمائل الشيخ وصفاته التي تعجبه: لين الجنب، والصبر عند الشدائد، ومعاملة التلاميذ بالرأفة، وصفاء القلب، والتواضع وسداد الرأي، وأنه مستجاب الدعاء، ويطهّر أدران القلب بالمواعظ والإرشاد، ويثقف العقول بالتعليم والتدريس، وقد أعدّ بذلك كله الخطباء والأئمة والدعاة. وهذه السجايا كلها من القيم النبيلة التي ينشدها الإسلام. وكلمة «ولا نتمذهب» في البيت الثاني عشر يقصد بها الشاعر أنه لولا إرشاد معلمهم المدوح لا يتخذون مذهبا معينا من المذاهب كناية على أنهم لا يعرفون قشور العلم من لبابه أو لا يتميزون حقيقة الأشياء من مزيفها. إلا أننا نتوقع منه كأديب مسلم أن يرجع فضل ما حققه شيخه –كما وصفه – إلى الله القادير المقتدر.

ولكننا عثرنا على بعض قصائد أفرط فيها أصحابها في المدح، وفقدت بذلك عنصر الصدق، فمن أمثلة ذلك مدح عبد الباسط مشهود رمضان جبريل للحاج مدثر حمزة ماشا أو شيلوكن، يقول فيه:

أهلا بشيخ من لغوس ومرحبا * في أرض كيتو شمسها لن تغربـــا
شيخ اللغوس مـدثر ذو كـوثر* نالت به دنيا لـغوس المَطْلـــــبَا
وهـــو الـولي ابن الـولي مـدثر* من ربه نـــال الـولاية منصـــبا
اختـــاره الله الكـــريم ولـيه * من خير جـد كـــان قدمـــا أطـيبا
قد ذاق أيـام التفـاني فـيه إذ * عـــزل الـبريـة فاصطفـاه وقـربا

سبحان من يختار عبدا بالذي ❊ قد شـــاء فـيه لـما أراد وجـــذبا
قد جال فكري في البلاد وأهلها ❊ هل مثل شيخي في المشيب أو الصبا
ما مثله فضلا ومجدا في القرى ❊ أو في المـدينة صـاح رمـه مشـربا
ما في السماء كبدر ليل إن بـدا ❊ للمـدلـــجين إذا أرادوا مـذهـــبا

(جبريل، ٢٠٠٩م)

مدح الشاعر الحاج مدثر أنه ولي الله ابن ولي الله، والله هو الذي يختار من يشاء وليا ولا دخل للعبد في ذلك، لا يصح أن نزكي على الله أحدا، فالولاية لا يعرف بمجرد انكباب أحد في الخلوة ولا بمدى إظهاره العبودية لله أو بخشونة مظهره أو بغزارة علمه، بل يقاس بمدى صفاء قلبه وسريرته وعلانيته وبإرادة الله وحكمته، وبذلك كان أمر الولاية غيب، والله ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٧ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ آل عمران: ١٧٩، وما فينا رسول! وإن كان «الرسول» بعموم المعني كيف نعرف المرتضي؟ ثم قرر الشاعر بأنواع أدوات التأكيد أنه ما مثل ممدوحه في الفضل من الصبيان والشيوخ، فذلك غلو ومجاملة، لأنه تحجر الوسعى ولا يحبذ ذلك الإسلام فرسول الله ﷺ هو الذي يعز إيجاد مثله.

الالتزام الإسلامي في الرثاء العربي في بلاد يوربا

بناء على ما في متناول أيدينا من المعلومات الشعرية يشتمل الرثاء في الشعر العربي في بلاد يوربا على رثاء العلماء ورثاء الملوك ورثاء الأغنياء ورثاء الأصدقاء والزملاء ورثاء الأقارب الأصدقاء والزملاء ورثاء شعب ورثاء أشياء أخرى.

فرثاء العلماء هو الذي أخذ نسيب الأسد في الشعر العربي في بلاد يوربا لأن أكثر الشعراء من تلاميذ هؤلاء العلماء والشيوخ، وللمكانة المرموقة التي يحتلها العلماء في قلوبهم لإيمانهم أن «الذي يخشى الله من عباده العلماء» واعتقادهم أنهم «ورثة الأنبياء» ولأنهم يتلقون العلوم من علمائهم من المهد إلى اللحد، فإذا جاءت أحدهم المنية، حتى الذين تقدموا في السن منهم، يأتيهم النعي كالصدمة الكبرى، وكثيرًا ما يجعلهم في الحيرة حتى يكاد يفقد بعضهم وعيه ويلجأ إلى شتم الموت في مقدمة رثائه، فمن هؤلاء عبد اللطيف أولاومي سعيد الذي يقول عند رثاء الشيخ عبد الله الصلاتي المتوفى في يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/٧/٤م وعنوان القصيدة «يا موت ماذا»:

إذا توفى قبل الـعهد أجـداد ❊ فما الفخـار الذي يأتيه أخـفاد
بنى الورن لقد حلّ البلاء بنا ❊ موت المشايخ في الأمصار يزداد

إلى أن قال:

يا موت ماذا على الأشياخ من حرج * تصيبهم حيث هم في الأرض أوتاد؟
هذا ترون بنى الأشيـــاخ في حدث * لم يبلغوا الحلم هذا المـوت فســاد
هناك أزواجــهم من بعــد مــوتهم * صرن الأيامى فكيف العيش ينقاد
تبت يدا الموت ما أردى مشائــخنا * كــأن أشيــاخــنا للمـــوت أصــياد

ترى أن فكرة الشاعر في هذه الأبيات يخالف موقف الإسلام تجاه الموت، فالموت في الإسلام لا يأتي إلا بالأجل، فالقرآن يقول: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ٣٤، ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ نوح: ٤، وقال أيضا: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الحجر: ٢٤. ففكرة الشاعر في قوله: «إذا توفى قبل العهد أجداد» تعارض هذه الدلائل. وكذلك الموت يأتي من قبل ملك الموت الذي وكل بكل نفس، نلمس ذلك في قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١ ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ ﴾ آل عمران: ١٤٥، فإذا كان الشاعر يلعن الموت بـ«تبت يدا الموت» فكأنه لا يؤمن بالأجل ولا بملك الموت رسول الله، فكأن الشاعر -كما ظهر في القصيدة- ما دفعه إلى قوله إلا صدمة وفاة الشيخ الشاب وتعاطفه على أهله. وهذه هي التي أوقعته في حيرة، ولكن الصبر، كما قال رسول الله ﷺ، عند الصدمة الأولى (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١: ٤٣٠، رقم: ١٢٢٣، ومسلم. ٢: ٦٣٧، رقم: ٩٢٦)، واللفظ للبخاري. وقد اهتدى الشاعر بعد ذلك إلى الرشد حيث يقول:

يا قوم صبرا إذا جاءت مصــائبنا * موت المشــايخ في الإسلام إكســاد
من ثلمة الدين موت الفاهمين ألا * مثل الصلاتي الذي في العلم جواد
مات الصلاتي الذي طابت مناقبه * عليه عفو مدى الأعصـــار يزداد
يا عبد لي يا صلاتي في رثــائك ذا * والله تأخــذني في القــلب أنكــاد

(أولاوومي، ٢٠٠٦م)

نرى في هذه الأبيات أن الشاعر يعزى أهل المتوفى ويوصيهم بالصبر مع اعترافه أن موت المشايخ كساد للدين وأهله، كما نرى في البيت الأخير أن الحزن هو الذي أوقعه في الخطأ. وقد نرى الشاعر نفسه في قصيدة أخرى بعنوان. «الموت سر الحياة» يؤكد أن الموت فرض على كل ذي نفس، وأنه يأتي بالأجل يقول:

سبحان ربى خـــالق الأكـوان * أثنى علـيه لأنـــه ربـــانى

وعلى الرسول صـلاته وسلامه ❋ طه الذي يرثى لـه الثقـلان
إن المـنون فريضـة وأداؤهـا ❋ حق على المخـلوق في الأكوان
وإذا قضى الإنسان فرضا عالقا ❋ بحيـاته هـذا من الإيمـان
وإذا أتت للمرء ساعـة مـوته ❋ لا تأخرن من الوفاة ثوانوقال:
إن المنون هي الحياة بنفسـها ❋ مصداق هذا القـول في القرآن
(أولاوومي، ٢٠٠٦م)

فبهذا يمكن أن نقول إن هذا الشاعر شاعر إسلامي ولكنه غير ملتزم.

إضافة إلى هذا، كان رثاء العلماء عند الشعراء اليورباويين يتضمن غالبا تعداد مناقبهم وأهميتهم للمجتمع والأدوار التي أدّوها في نشر العلوم العربية وتعاليم الإسلام وفي الجهاد في سبيل الله وبيان الهوة التي حدثتها وفاتهم، والتي يصعب سدّها. ويضيفون إلى ذلك تعزية أهليهم وتلاميذهم وشركائهم ومعاصيرهم أو تعزية الأمة الإسلامية إن كان العالم المتوفى علامة كبيرًا مشهورًا. وكثيرًا ما يعقبون ذلك بالدعاء له بالمرحمة والمغفرة والجزاء بالجنة كما نرى منهم من يختم بالوعظ والإرشاد أو النصيحة.

وهناك أساليب مختلفة يستخدمها الشعراء في تحقيق ذلك وكلها تتصف بعاطفة حرّة، فمنهم من يستعمل أسلوب طرح تساؤلات مثل محمد الجامع سعد الله عبد الكريم أسليجو في رثاء الشيخ كمال الدين حبيب الأدبي مفتي ديار إلورن المتوفى يوم الأحد ١٤٢٦/١١/١٨هـ الموافق ٢٠٠٥/١٢/١٨م ففي قسم الأول من قصيدته المعنونة: «مات العلا» يقول أسليجو (٢٠٠٥م):

من ذا يسلى القـلب فى تأمـوره ❋ فالقلب فى شجو لفقد سروره؟
من للجهاد يحفظ جـلّ أمـوره ❋ ولقد أصيب بعظمه وطهوره؟
من للهدى يهدى الأنام إلى العلا ❋ فالصبح فى غسـق لغيبة نوره؟
من ينصـر الإسـلام فى آمـاله ❋ فالدين فى حزن لضعف ثغوره؟
من يعضـد الإنسان فى إحسانه ❋ ويحـثه للـخير بل كـبشيره
أو مـن يكـون نذيره فى شـره ❋ فالمـرء فى خسـر لعـدم نذيره
من ذا الـذي يحي شرائع أحمد ❋ ولقد قضى المحي بخير شذوره
من للفتاوى كان يكشف حجبها ❋ من للمعالى فى جميع عصوره
من للواعـظ تقرع الأسماع بالـ ❋ تقوى وفعل العرف كل دهوره

فبأسلوب الاستفهام المؤثر الذي لا يتطلب الإجابة صور الشاعر إحساسه الحرّ تجاه المفقود، ووصفه بالمجاهد في سبيل الله، والهادي إليه، وناصره، وأنه دال على الخير، ويحي شريعة الله، وأنه واعظ مرشد بطريقة يجعل السامع والقارئ منفعلا به، ويشعر أن الراحل جوهرة فذة يعز ايجاد مثله. إلا أنه وقع في غلو يقع فيه بعض شعراء العرب في قوله:

أُلقى إلى الإسلام بعد كمالنا ❋ قول السلام لأجل فقد نصيره

نرى أن الشاعر تأثر بالشاعر العربي القائل:

سلام على الإسلام بعد محمد ❋ سـلام عـلى أيامـه نضرات

(الإلوري، ٩٨٥: ٣٠)

فهذه الفكرة تخالف تعاليم الإسلام الخالصة، إذ قال الله جل شأنه: ﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ البقرة:١٠٦، وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ» (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٢: ٣٤، رقم: ١٠٤٣)، فالإسلام دين الله لا ينعدم بموت أي علم من أعلامه فإنه ما زال بعد وفاة الذي أرسل به محمد ﷺ بل:

فإنا لقوم كلما انكب كوكب ❋ بدا كوكب تحوي إليه الكواكب

(الإلوري،١٩٨٥).

وبالأسف الشديد كان هذه الفكرة شائعة في رثاء العلماء الأجلاء. فهذا شاعر آخر، عثمان محمد الأول النفاوي(١٩٩٢م) يقول في رثاء الشيخ آدم الإلوري:

هل من مثيل له ياقومنا انتبهوا ❋ وأين من كان فى السودان برهانا؟

لو كان يوجد مثل آدم فغـدًا ❋ من قـال في قرنـنا هذا فبهتانا

إذا ودّعنا الإسلام بعد الشيخين أو لم نر لهما بديلا فماذا تركا بعدهما من آثار؟ ألم تكن مجهوداتهم في إعداد حماة الإسلام هباء منثورا؟ فما فائدة الكتب والمدارس التي خلفاها؟ فالإطراء في المدح والغلو في إظهار التحسر لا توافق مع القيم الإسلامية. فالأشعار المعروضة أعلاه من الأدب الإسلامي إلا أنها زاغت عن الالتزام.

علاوة على هذا، فقد عثرنا على لون آخر من الرثاء في قصائد الشعراء اليورباويين يقف فيها الشاعر على مقبرة العلماء والصالحين فيدعو لهم ويستغيث بهم، فمن أمثلة ذلك قصيدة خليل الله محمد عثمان بودوفو (١٩٩٩) التي قال فيها:

هنا دار أهل العلم والـدين والـذكر ❋ هنا قبر أحبـــاب النبي ذوي الـبر

هنـا أهـل بودوفو الكـرام فـإنني ❋ على بابهم أوقفت قصدي مع العذر

فقف برهة خـير الوقـوف لديـهم * وسـلم عليـهم إنهم أمـة الـخير
وخذ سورة الإخلاص تدعو بها لهم * عسى نفحة الإخلاص تأتي إلى القبر
لقد نصروا الله على الدين وابتغـوا * إليهم سبيل الرشـد بالزهد والصبر

حث الإسلام على زيارة القبر والدعاء للميت، ولكن قضية الاستغاثة بالأموات لا يزال الجدل يجرى عليه بين الأئمة والفقهاء، فلا نتدخل في ذلك هنا. أما أن يجعل الإنسان جميع أمنيته وحاجاته بباب مخلوق مثله كما عبر عنه الشاعر في هذه القصيدة فشيء خارج عن عقيدة الإسلام الصحيحة، لأنه عبارة عن الاستعانة بغير الله ويخالف ذلك ما يكرره العبد لربه دائما في: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥، ورسول الله ﷺ يقول فيما رواه ابن عباس وأخرجه الترمذي: «... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» (الترمذي. ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. ٤: ٧٦٦ رقم: ٦١٥٢) فالشاعر في هذه القصيدة إذن غير ملتزم.

الالتزام الإسلامي في شعر الغزل في بلاد يوربا

كان الغزل من أغراض الشعر العربي القابلة لضيافة الفحشاء والمنكر لما فيه من وصف محاسن المرأة وذكر مفاتنها الجنسية، ولكن تناوله بعض شعراء اليوربا بدون معارضة تعاليم الإسلام. فمن هؤلاء أحمد (١٩٩٨م: ٢٥) القائل:

فدى قلمي لحفصة لا سواها * فقد سمحت لداخله حماها
حماها يشتهيه الناس طـرا * لما يكسـوه من درر حلاهـا
تدينـها بلا شـك وقـاهـا * وزادتهـا ثقافتـها وجـاها
بذات الضاد تنطق في هدوء * كعـذب المـاء تشربه شفاها
حياء الدين يكسبها جمـالا * وكل الوقت تحجب في كساها
تطـالبـها شريعتـنـا بزيّ * فصـار الزيّ رغبة من رناها
وحشمتها تدلّ عـلى صلاح * وأبدع ذاك فيها من حـياهـا
إذا بكر تجمـع ذاك فيـهـا * تنور ليلـها وصفـا غداها
إذا بكر كحفصـة في حلاهـا * فأنت أحق من يبغي هواها
ومن يظفر بحفصة من رجال * فصنعته تبـاركها يداهـا

هذا الغزل رقيق وعفيف، التزم فيه صاحبه تعاليم الإسلام وقيمه بحسن اختيار الألفاظ والمعاني وبلاغتها. فالتدين، والثقافة العربية والإسلامية، وحسن الأخلاق هي التي حببت المرأة إلى الشاعر دون الجمال والغريزة الجنسية ودفعته إلى قول الغزل فهو نموذج ينعكس فيه اتجاه شعراء بلاد يوربا في هذا الغرض.

ومع ذلك لحظنا في بعض معاني الشعراء في هذا الغرض ما يخالف تعليم الإسلام على غرار ما لحظنا في شعر إبراهيم سعيد أولاومي حيث قال:

رفيعــة إنى أصطــفى لك قــربتى ❋ لأنــك حقا كنت بـــدر السّنيّـــة
أكنّ لــك الإكـــرام فيمــا عرفـــته ❋ وأسقيك ماء الحبّ فى كلّ لحظــة
لأنّى أرى حـــظّــى وذوقى كـــلّه ❋ بجسمك يا قلبى وروحى ومهجتى
ولم أر مذ ما كنت فى الأرض صورة ❋ تدانيك حسنا أنت زينة روضتى
وإنك فى وقــت الضّــرام مكيّف الــ ❋ هواء بمــا تعــطينى مــن مسـرّة
وإنــك لى حـــين الـــبرودة بــردة ❋ أغطــى بها جسمى اتقــاء المضرّة
وصوت غنــاء منك يا روح نشوة ❋ وأخلاقــك الحســناء سـرّ لفــرحة
وضحكك سحر تسحرين فطانتى ❋ به يا عروض النّــور فى كل ظلــمة
ومشــيك إذ تمشــين للقــلب مسكر❋ لأنــك تمشــين الهــوينى كظبــية
وربّــك أعطـــاك المـــزية كــلــها ❋ وأعطاك خلقــا ذاك سحر المحبة
حروفك تعطيـــنى إذا ما سمعتــها ❋ سرورا ينــمى الروح بالحيويــة
فــراؤك ريحــان وفـــاء فطـــانــة ❋ وياء يســـارات وعيــنــك عــدّتى
وتـــاؤك تــاج للحبــيــب وتحــفة ❋ رفيعــة اســـم فيـــه عين المزيّــة
أكان الذي سمـــــاك إياه زوجــتى ❋ نبيّا أتــاه الــوحى مــن رب عــزة
حروفــك ترضينى بحــب ورحــمة ❋ لذا كنت بعد السمع فى حال رعدة
أحبــك حــبّ المــرء مــا فيه متعــة ❋ وروح وريحــان أأحســن زوجــة
وكنت لمـــولانا العــظيم مطيـــعة ❋ لهــذا غشتنى فيــك أنوار بهجــة
فــدومى لــروحى جنّــة وأنيســـة ❋ وكــونى كما كانت خديجة أسوتى
خديجـــة تغنــيه عن الحب كلــها ❋ بلطــف وأخلاق وفـــــعل وقولــة
وكانت لــه فى كـــل شـــىء يريــده ❋ تزمــله باللــطـــف يوم المشــقّــة
كفت هذه الأوصــاف فضــلا وميزة ❋ فــدومى بها أسقــيك كأس المودّة

(أولاومي، ٢٠٠٩م: ٥٣)

لا يترك هذا الشاعر بأسلوبه الرائع أدنى ريب في قلب السامع والقارئ أنه مغرم بزوجته، وإذا أمعنّا النظر في السجايا التي حبّبّتها إليه نراها مستمدة من الكتاب والسنة، يحبها لأنها توافر لديها كلما يبغيه في المرأة، فهي له سكينة، وذلك ما يعنيه قوله:

وإنك في وقت الضّرام مكيّف الــ ❋ هــواء بما تعــطيني من مسرّة

وذلك من إلهام قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾الروم: ٢١، ويحبها لأنها له لباس وستر، فهذا معنى قوله:

وإنك لي حين البرودة بردة ❊ أغطّى بها جسمي اتقاء المضرّة

استعار ذلك من قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾البقرة: ١٨٧. ويحبها لأنها ذات خلق حسنة صالحة ورسول الله ﷺ يقول: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». (مسلم، د.ت، ٢: ١٠٩٠، رقم: ١٤٦٧)، ولذلك يقول عنها الشاعر:

وربّك أعطاك المزية كلها ❊ وأعطاك خلقا ذاك سحر المحبة

وخير من ذلك كله أنها مطيعة لأوامر الله، وصفة المرأة الصالحة عند الله هي: ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ ﴾النساء: ٣٤، ولذلك قال الشاعر:

أحبك حبّ المرء ما فيه متعة ❊ وروح وريحان أأحسن زوجة

وكنت لمولانا العظيم مطيعة ❊ لهذا غشتني فيك أنوار بهجة

ونلاحظ أن الوصف الحسي الموجود في القصيدة لم يتجاوز حد المروءة، الصوت والضحك والمشي، فهذه الأشياء يمكن للمرأة المسلمة أن تخفيها لغير زوجها إذا كانت كما وصفها الشاعر. إلا أن الشاعر قد يؤخذ عليه تشبيه مشي زوجته بمسكر، وذلك ينافي وتعاليم الإسلام، لأن كل مسكر في الشريعة حرام وهو رجز من عمل الشيطان يجب على من كان في قلبه إيمان وإسلام أن يجتنبه.

الالتزام الإسلامي في سعر الفخر السياسي

الشعر السياسي هو الشعر الذي يتضمن عدة أغراض مثل المدح والرثاء والوصف والفخر والتحريض والهجاء وغير ذلك، ويمتاز بحماسة حرة. ففي بلاد يوربا يصبغ شعرهم السياسي العربي، كغيره من الأغراض، بصبغة دينية إسلامية، إضافة إلى المدح والرثاء والتحريض والنصيحة، يشكو آلام شعب يوربا وشعوب نيجيريا كما يشكو آلام الأمة الإسلامية في العالم مما يظهر غيرتهم للإسلام وعشقهم للغته العربية. إلا أننا لاحظنا أن بعض الشعراء يلعن ويشتم عند المجادلة والمفاخرة. ولضيق المقام نكتفي ببعض أبيات من قصيدة فولنسو(٢٠٠٧م) بعنوان: «خذ حذارك يا أميريكا» ففيه قال:

أبدا ترفرف في الآفق رأيتنا ❊ وصوتنا بصدى يعلو وينسكب

الله أكبر والإسلام مكتمل ❊ فليس يؤلمه قذف ولا عضب

دين بنى لصرح المجد أعمدة ❊ ترنو النفوس إليها ثم تنقلب

دين منيــع تعــالى أن يطاوله ❋ دين وعنـــوانه الإقــدام والأدب
يا من يشير إلى الإسلام متهما ❋ تبت يداك ومنك العقل يضطرب
فالله يشهــد والأيــام شاهدة ❋ أنا على حقنا نغــزو ونحتـــرب

نرى أن حماسة الإسلام تلتهب وينبثق من وجدان الشاعر بأسلوب رائع يجعل السامع ينفعل مع الشاعر، ولكنه خالف إرشاد الإسلام في المجادلة حيث لعن وشتم من يعادى الإسلام، والقرآن أدبنا بأن نجادل بالتي هي أحسن فقال: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥، كما أدبنا أن لا نشتم الكافرين فيسبوا الله حيث قال: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ ﴾الأنعام: ١٠٨، ونأسف أن يكون هذا دأب شعرائنا في الرد على أعداء ملتنا، وذلك مخالف للالتزام الإسلامي.

الخاتمة

خلال السطور السابقة حاولنا دراسة الشعر العربي في بلاد يوربا من ١٩٦٠ إلى ٢٠٠٩ بغية معرفة مدى التزام أصحابه فيه بمنهج الإسلام الذي ينتمون إليه. ولتحقيق الغرض المنشود، لضيق المقام، اخترنا من الأغراض الشعرية المشهورة المدح والرثاء والغزل والشعر السياسي نماذج لدراستنا.

ففي آخر المطاف أدركنا أن أكثر الشعراء اليورباويين التزموا بالإسلام تعاليمه وقيمه ومنهجه في أعمالهم الأدبية إلا أن بعضهم تجاوزوا حد الالتزام بالمبالغة والإفراط في المحبة وعدم الصدق في العاطفة وتجريح حق الغير وإيراد التشبيه بالمحرمات والزيغ في العقيدة. إلا أن ذلك لم يبلغ مبلغا يخرجهم من حوزة الإسلام ولا أدبهم من الأدب الإسلامي، بل جعلهم أدباء ملتزمين في بعض القصائد وغير ملتزمين في غيرها. فأولى لهم أن يدخلوا في السلم كافة ولا يتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين.

المراجع

Abdul Hamid wa Ghoiruhu. Asy-Syekh Adam Abdullah al-Ilwari Wa Manhajuhu Fi I'dad Asy-Syu'ara'. *El-Harakah Jurnal Budaya Islam*. 9 (1). 51-69. DOI: 10.18860/el.v9i1.4666.

Abu Bakar, Ali. 1972. *Ats-Tsaqafah al-Arabiah fi Nigeria min 1750 ila 1970 Am al-Istiqlal*, (T 1). Beirut.

Abu Bakar, Isa Albi. 2005. *Ar-Riyadh*. Ilorin, Nigeria: Alabi Printing Production.

Ahmad, Sulaiman Adibayu. 1998. *As-Suthur Al-'Athirah*, (T 1), Ilorin. Nigeria: Mathba'ah Ibrahim Kiuliri al-Islamiyah.

Aribiy, Abd al-Wahid Jum'ah. 1997. *Rahmatan Anta*. Qashidah Islamiyyah bi Munasabah al-Ihtifal Bidzikra al-Mawlid an-Nabawi as-Syarif.

Aribiy, Abd al-Wahid Jum'ah. 1997. *Burdah al-'Ajam wa ya Mukhtar*. Markaz at-Ta'lim al-'Arabi al-Islami, Aghighi.

Asaliju, Muhammad al-Jami' Sa'd Allah Abd Al-Karim. 2005. *Nadhmuha bit-Tarikh 18/12/2005* M. Makhtuthah Tujad Lada as-Sya'ir.

Bello, Abdul Ghani. 2007. *Khudz Hadzaraka ya Amerika*. Qashidah alqaha fi Usbu' as-Syaikh Adam Abdullah al-Ilwari al-Mun'aqad fi Markaz at-Ta'lim al-'Arabi al-Islami. Agiga. Lagos. Nigeria.

Budofo, Khalil Muhammad Usman. 1999 M. *Qashidah bi 'Unwan: "Huna Dar Ahli al-Ilmi wa ad-Din wa adz-Dzikr"*. Makhtuthah.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail. 1998. *Sahih al-Bukhari*. Riyadh: Bait al-Afkar al-'Alamiyah li an-Nashr.

Al-Bushiri, Syarf ad-Din Muhammad. (DT). *Burdah al-Madih al-Mubarak*.

Al-Husaini, Nashir Abdurrahman. 1987. *Al-Iltizam al-Islamiy fi as-Syi'r,* (T1). Ar-Riyadh. Dar al-Ashalah Li tsaqofah wa an-Nasyr wa al-I'lam.

Al-Hanbali, Ibn Rajab. 2001 M. *Jami' al 'Ulum wa al-Hikam*. Muassasah ar-Risalah.

Ibrahim, Latif Oneriti. 2012. *Al-Lughat al-Arabiyyah wa Tsaqafatiha fi Nigeria min 1960 ila 2009. Al-'Arabiyyah Lughatan 'Alamiyah Mas'uliyyah al-Fard wa al-Mujtama' wa ad-Daulah*. Kitab al-Mu'tamar. Beirut: Al-Majlis Ad-Dauli lil Lughat al-'Arabiyyah.

Al-Ilwari, Adam Abdullah. 1985. *Lubab al-Adab*, Qism asy-Syi'r. (T2). Aghighi. Laghus. Nigeria: Mathba'ah ats-Tsaqafah al-Islamiyah.

Jibril, Abd al-Basit Masyhud Ramadhan. 2009. *Qashidah at-Tarhib li munasabah Ziyaroh al-Hajj Mudassar Hamzah Masya Osyilakin* Madinah Kitha Wimi Bilatu Bijumhuriyah Banin bi at-Tarikh 22/5/2009 M/ 27/5/1430 H.

Al-Kailani, Najib. 1407 H. *Madkhal Ila al-Adab al-Islamiy.* (T1). Qatar: Riasah al-Muhakim as-Syar'iyyah wa as-Syu'un ad-Diniyah.

Al-Lukhami, Sulaiman bin Ahmad. *Al-Mu'jam al-Awsath*. al-Qahira: Dar Al Haramain.

Muhammad as-Sani, Muhammad Qasim. 1999. *Qashidah wabl as-Shada fi Madh Rasul al-Huda*. Qilat limunasibati Haflah al-Maulid an-Nabawi allati Aqamatha Madrasah Nun wa al-Qalam, yaum as-Sabt 14-8-1999 M. Badiya. Lajus. Abyatihi Itsnani.

An-Nafawi, Usman Muhammad al-Ula. 1992 M. *Ritsa' Adam.* Qashidah Makhthuthat Tujad fi Maktabah as-Sya'ir.

Olawomi, Abdul Lathif Saed. 2006. *Qatharat al-Khathir, Diwan.* (T1). Lagos, Nigeria.

Olawomi, Ibrahim, Said. 2009. *Shadaf al-'Awathif, Diwan*. (T1). Lagos, Nigeria: Mathba'ah an-Nur.

Ats-Tsaqafiy, Usman Abd as-Salam Muhammad. 1982. *Siraj al-Abid fi al-Mawa'idh al-Jamilah wa Madh as-Syaikh al-Fadhilah*. (T1), Ga Orima, Ilorin.

Az-Zarnuji, Burhan al-Islam. 1981. *Ta'lim al-Muta'allim Thariq at-Ta'lim*. Tahqiq Marwan Qabbaniy, Beirut, al-Maktab al-Islamiyah.